**الدعوة إلى الله**

**( قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) أنظرَ الشَّيءَ أي أخّره أجَّلَه وأمهله هذا ما عُبِّر عنه في القواميس اللغوية ويشير الإنظار في سياق الآية حسب فهمي بالتَّوعُّد والتهديد واعتاد الخوفَ الناسُ إذا جرت بين طرفين ظاهرين مبارزةٌ من على ظهر فرسين أو نزال في حلبة ملاكمة خشية الانهزام لكن للخوف أوجه متعددة أولها وجه الموت يصعب تكهُّنُهُ كوجه الله تعالى جل شأنه ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ يدرك أهميتَهُ الخائفُ عندما تسُفُّهُ اللطائفُ فيخشع للأمر ويسلّم والخوفُ من تهديده ليس كالخوف من تهديد السائل في الإنظار فترى في حياة مبتلى ممسوس انفلاتا وشتاتا وصراخه إذا ما قُرِئت عليه آياتِ المس مشهد مرعب مساوٍ للرعب الناتج من تعطُّل مصعد عمارة اعتدت على ركوبه مرات ومن غير سابق إنذار عطّله خلل فني كما عطّل لعين ممسوسًا بلدغة عين من استمتاعه بحياته وظل حبيس أوهام كادت تنخر رأسه فقبع المحبوسُ مثلَهُ في جوف ثلاثِ ظلماتٍ ظلمةُ ليل وظلمة عمارة وظلمة مصعد تعطلت مروحته وسخن جلدك داخله فندح الملح منه فتصبب العرق وانساب لإزالة ركامه القشري الأبيض المتصلب كما ينساب الماء يزيل أثر الرّكم الثلجي المتراص من قمة جبل كما تركم الرياح الرمال في جانب وتزيل أثرها من جانب آخر فيظهر عرقا رمليا فضفاضا يسيل عليه ماءُ رُكامِ السحاب المجتمع بعضه فوق بعض يالهذا الرُّكام المتكرر حتى في حياتنا نجمع أعمالنا في وقت واحد فيتزهمر لها الدماغ ويخرف وبعد طول انحباسك داخله أعني المصعد تترهل وتشحب فتنحني من أثره الحراري كما ينحني سيخ حديد صلد من حر الشمس ويزداد تصبب العرق فقد نفد وقود المروحة وانقطع تيارها فَتَعَقَّبَ ضوءُ الشَّارع رِيَشَها فيبدو كإشارة نورٍ أخضر متقطِّع كأنما يلوِّح لهواء الشَّارع بحالة طوارئ كما ترى في يَدِ غنيٍّ كِسْرَةَ خُبز يقطفها أصبعُهُ نتفَةً نتفَة فيمدها في يد فقير ويزداد إثر هلعك عدد نبضات قلبك وتهفو أنفاسك لبصيص هواء فما عاد الأمل كافٍ لانتظار مساعدة من أحد وتصبح حواسك مجتمعة لا قيمة لها تتحول إلى نبضات دماغية تشعر بالأجل وأفل في وجهك مَرْآَهُ في مِرْآته وعادة أي مصعد تتسابق الشركات المصنعة في مقاييس جودته فتتفنن في طلاءه وصناعة مرايا محدبة حتى تكبر المساحة داخله لكنها خدعة لاتنطلي على قاطع الكهرباء أعني العداد وبعد أن غطاك الظلام ولبسك ثوبه وأنت داخله تنام سيّان أغمضت عينيك أم رفرفت بهدبها تحيطك كوابيس إبليس الذي استغاث بالله أن ينظره لأجلك فأرجاه واقشعر جلدك من مسامه قُبْلةً إنعاشية انقباض فانبساط وهكذا عادة أي جسد يباغته أمرٌ مفزع ويزيد فزعه أن لا صريخ له أو منقذ وقد ولّوْه أو ولَّوْكَ سيّان أدبارهم الخارجون منه فشعرت بوحدة قاتلة وتكاد تغرق في الهواء والغرق ينطبق على الغرقى في البحر وحتى لايساء فهمي الغارق في الهواء هو الغارق في الماء سيّان فلا ذرة أكسجين تصلح لكائن برِّي داخله وقفصك الهوائي لم تعد تشبعك شهقاته للبقاء حيًّا وقد ساويت من غير لا أعلم بين الحيوانات وبين الإنسان أعني تتساوى أحيانا بين المخلوقات الهِبَات الربانية ووددْتَ لو عزمتَ افتراس رئة حيوان وتنتزعها لو من صدر خنزير فالعيش داخل قفص ذي قضبان ليس كالعيش داخل قبر يقف لك احتراما ويفتح لك بابه وتدخله برضا وسرور وتظنّ سر السعادة في جودة الحياة التي ينشدها التكنلوجيون ولكنّ الخشية من عواقبه كالخشية من التهاب حلقك لا تعرف بغتته فجأة تنكبح من لغلوغك فينوِّخَكَ الكلامُ لايخرج منك صوت آهٍ من الوحدة داخله هل مرّت عليك مكابدتها مثلي فقد عشت في غريفة أربعة حيطان ظننت أني خامسها لا أحد يسمعني يوما مرضت فيها في أعلى سطح عمارة هرمة ترى في قَدِّها عُكَّازاً يسندها خمس سنوات صعدت سُلَّمَها مما قلت فيه : ( الهوى سُلَّمُ مَـنْ يصْعَـدْهُ لَـ \*\*\* سوف يُسْقِطْهُ ذليـلاً هَشْيَمَـا \*\*\* ليت أني عثتُ في وجه الهوى \*\*\* ليت أنّي ما صعـدتُ السُّلَّمـا \*\*\* سرتُ ما أصخيت سمعي للذي \*\*\* قال لي ينصح قــولاً محكمـا \*\*\* أوليس الوجعُ هـذا محـرزاً \*\*\*قصب السبق؟ وكم قلباً رمى؟ ) رغم كل ما قالوه عنه أي الحب مضيت حتى وقعتُ من على منتصفه وأعني السًّلَّم وسيان كلاهما مصبا في دلتا جرحني من بقايا مخلفات البناء مسمارٌ لما انزلقت وهفت قدمي على حافة درجة الصعود التقائها بدرجة الهبوط وعلى سبيل النصح تكثر في الحب الانزلاقات وعادة المسامير لا تؤذي الحائمين حوله لكنها أيَّما مرّت رائحة دم عبقة تمرق من أمامها تسنُّ لطرفها سِنَّةً تثوِّر الثَّورَ أو كما يثوّرُ الرصاصةَ زِنادُها فيلهمك الأدرينالين بالقفزة تلو القفزة كأنك في عرين هصور وقد تتساوى القوتين قوة صعود السُّلَّم بقدمين متواليتين فتخطو متخبِّطًا مترنِّحًا كمن في قدمي أحد قيد فلا خوذة ولا لباس روّاد الفضاء بحاجة لها تجول وتصول تعاني فراغا سياحيًّا يسبح فيه فكر المتلذذ بالخيال يجوب بلدان العالم وفي الغالب الدول المرتبط اقتصادها بالسيّاح والمتأثر بزوارها لأثر نموها وتعافيها ماليا من أي جائحة حالتان الأولى هبة الله لسمائها العبق الغيوم المتراكمة وأرضها التي ارتسمت خضرتها بزخاتها والثانية حروب دارت بين بشر ودارت رحاها حتى بقيت قلاعها على وشك أن تساويها مثيرات الطقس بالأرض فهبَّ لها المنقذون من رواد المال ليستغلوا آثارها كذكرى يسيل لها لعاب جيوبهم وعادة كل سائح يتفتح جفناه كما تتفتح الأزهار والفرق بين الأولى والثانية أي بين هبة الله والحروب كالفرق بين دعاة سلام وتوبة الله عليهم ( وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ) ودعاة إثارة انقلبت فتنتها وتعرّت مياسمها كانت في زمن النكاح الجاهلي شهوات فأصبحت الآن مِثْلِيَّة والمحرضون المشعلون ثقابها البغيض ومروّجيها في عالم الفضاء الإلكتروني يتودَّدون لو وجد فرصة لنزال لانتهزوها لكن لغزيّاتهم أهداف أولها أعمار الصغار ثم أنصاف الكبار ثم الكبار انتكست فطرتهم ( كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ) أي زادوا لا زوّدهم الله لكن رضا الله باقٍ لعباد يحبهم ويحبونه** ( **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ** **) يدافع عنهم ( كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ) يطفيها بأعاصير رحمة يخشاها جهّالهم فبها تتحول البنايات القديمة جرّاء الأعاصير التي جرفتها الجروف الطينية لجديدة يتم بناؤها وتتحسن حالات الروعة فيتجدد سلوك الإنسان ويظفر بصناعات متجددة ويتفكّر ويتغيّر ورحمة الله واسعة لخلقه اختصها لعبّاده الذين اصطفى وقال الله تعالى في حق رسوله الكريم يا محمد ( أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ  ) ونحن المسلمين بهدى رسولنا نستقي وقد مهّد الله سبحانه لدعاة الدين الطريق ليسلكوه فقد تحوّلت الدول السّلاحية لسياحيّة يقصدها كل مسافر فلها شمروا يا دعاة الدين لو بتغريدة مترجمة فالذي أنظر إبليسا يعجزه إنظارك ؟**

**محمد الشعلان**